

أظفارها، وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيقها أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمراً من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم^١.

ويذكر الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ

غَرَقًا وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا﴾ الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر؛ رقي نزعها ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما دلتة من نشاط وهو قوله تعالى (والناشطات) ثم يقول بعد أن ذكر أقوالاً أخرى في ذلك غير الملائكة، والصحيح الأول وعليه الأكثرون^٢.

وقيل في تفسير هذه الطوائف هم خيل الغزاة التي تنزع في أعنتها^٣ نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب^٤، والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك ذرنا ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه، أو النجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج إلى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمراً من أمور علم الحساب^٥،

^(١) تفسير الإمام النسفي ج ٢ ص ٢٨، ط عيسى الحلبي.

^(٢) تفسير الإمام ابن كثير ج ١ ص ٦٦.

^(٣) العنان هو: سير اللجام الذي تمسك به الدابة، وجمعه أعنة/ ينظر الوجيز ص ٣٨.

^(٤) العراب/ تقول خيل عراب وإبل عراب أي خالصة العروبة. وجيز ص ١١؛ وفي اللسان: خيل عراب ومعربة قال الكسائي: والمعرب من الخيل الذي ليس فيه عرق هجين. اللسان ج ١ ص ٩١.

^(٥) ينظر تفسير النسفي ج ٢ ص ٣٢٩ والكشاف ج ١ ص ١٢.

وهناك أقوال أخرى^(١) غير ذلك وأميل وأرجح ما رجحه أكثر أهل التفسير لعدة أسباب:

أولاً: لأنه قول أكثر أهل العلم، يدل لذلك أنهم حين يذكرون الأقوال الأخرى يذكرونها بعد القول بأن المراد من هذه الطوائف الملائكة ويقدمون هذا القول على الأقوال الأخرى^(٢).

ثانياً: إن السير على هذا الوجه ليس فيه شيء من التكلف كما فى الأقوال الأخرى.

ثالثاً: إن الذهاب إلى قول الأكثرية وأن المراد بالمقسم به هو الملائكة هو المناسب للمفهوم الكلى للسورة العظيمة حيث ركزت السورة العظيمة على ذكر البعث وما يتبعه من أهوال يوم القيامة وما فى ذلك من حساب وجزاء وذهاب إلى الجنة وإذهاب إلى النار هذا ما ركزت عليه السورة بل إن ما قبلها وما بعدها من السور يشمل ذلك وهذا إنما يقوم به الملائكة.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ مما يرجح ذلك لأنها من جنس ما أقسم المولى تعالى به هنا والملائكة هم الذين يمكنهم القيام بتدبير أمور أوكلمها الله

(١) كقول بعضهم فى ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ هى أنفس الكار تتزع ثم

تتشط ثم تغرق فى النار، وقول بعضهم: هو الموت ينزع نفوس بنى آدم وينشط نفس الإنسان" راجع ابن كثير ج ١ ص ٦٦ ، تفسير الماوردى ج ١ ص ٩٢ . ٩٣ .

(٢) انظر على سبيل المثال. ابن كثير ج ١ ص ٤٦٦ والخازن ج ١ ص ٢٠٤ والبغوى على هامش الخازن ج ١ ص ٠٤ ، والقرطبى ج ١ ص ١٩ من ص ٨٣ - ١٨٦ والمحرر الوجيز ج ١ ص ١٨ - ٢٢٠ والطبرسى ج ١ ص ٠ - ٢٢ والدر المنثور ج ١ ص ٠٣ - ٠٤ ٤٠٤ والدر المصون ج ١ ص ٧٠ ، تفسير الماوردى ج ١ ص ٩٢ - ٩٤ .

تعالى إليهم .

والخلاصة: أن الله جل جلاله يقسم بهذه الطوائف من الملائكة على أن البعث حق وثابت ليكون العدل والفضل من الله تعالى جلت قدرته وعظمت حكمته. وهذا البعث إنما يكون وم ترجف الراجعة تتبعها الرادفة" أى فى ذلك الوقت^(١) المتسع الذى يكون فيه داهيتان عظيمتان شديتان النفخة الأولى والنفخة الثانية. يقول سيدنا الحسن وسيدنا قتادة ومجاهد وكذا ابن عباس رضى الله تعالى عنهم: هما أى الراجعة والرادفة هما النفختان - أما الأول فتميت الأحياء وأما الثانية فتحي الموتى^(٢) والثانية تابعة لها ويكون البعث عندها.

ويقول الإمام الألوسى رحمه الله تعالى: (وجملة تتبعها الرادفة) حال من الراجعة مصححة لوقوع اليوم ظرفاً للبعث لإفادتها امتداد الوقت وسعته حيث أفادت أن اليوم زمان الرجفة المقيدة بتبعية الرادفة لها وتبعية الشيء لآخر فرع وجود ذلك الشيء فلا بد من امتداد اليوم إلى الرادفة واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون إلا عند الرادفة أعنى النفخة الثانية وبينها وبين الأولى أربعون تهويل اليوم بـ إن كونه موقفاً لداهيتين عظيمتين .

^(١) وهذا هو رأى الجمهور أن (المدبرات أمراً) هم الملائكة كما فى تفسير الإمام الماوردى ج ١ ص ١٩٤ ط دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية، وحكى الإجماع على ذلك الإمام الرازى فى تفسيره ج ١ ص ١٧٣ والإمام الخازن فى تفسيره ج ١ ص ١٠٥ .

^(٢) يقول صاحب المفردات: عن كلمة "يوم" وقد يعبر به عن مدة من الزمان أى مدة كانت، المفردات ص ٥٧٨ وانظر اللسان ج ١ ص ٢٥٠ .

^(٣) انظر تفسير الماوردى ج ١ ص ١٩٤ والخازن ج ١ ص ٢٠٥ والبعوى على هامش الخازن ج ١ ص ٢٠٥ وتفسير القاسمى ج ١ ص ٦٠٤٥ والقرطبى ج ٢ ص ٢٥٠ والقرطبى ج ١ ص ٨٧ .

^(٤) روح المعانى ج ١ ص ٤٥ وانظر الكشف ج ١ ص ١٢ ، حاشية الجمل ج ٤ ص ٧٩ .

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ .

وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ﴾ .

وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَنْوِيلَنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مُرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ .

وأخرج الإمام البخارى فى صحيحه بسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى (ﷺ) قال: "بين النفختين أربعون" قالوا: (ياأبا هريرة أربعون

(١) الزمر: ١٨ .

(٢) النمل: ١٧ .

(٣) يس الأيتان العظيمتان ١١ ، ١٢ .

(٤) قال صاحب الفتوح: لم أقف على اسم السائل ثم قال قوله: أبييت: بموحدة أى امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندى فى ذلك توقيف ... وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم أربعين سنة ولا وجود لذلك، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش فى هذا الإمداد "أربعون سنة" وهو شاذ ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال: "ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة" ... ووقع فى "جامع ابن وهب" أربعون جمعة، وسنده منقطع ... وقوله "إلا عجب ذنبه" أخذ بظاهره الجمهور فقالوا لا يبلى عجب الذنب ولا يأكله التراب".

يوماً؟ قال أبيب قال أربعون سنة قال أبيب قال: أربعون شهراً قال أبيب وإدلى بي ذلك شيء من الإنسان لا شيء بـ ذنبه فيه يركب الخلق منه^١ .
هذا ويحتمل أن يكون المعنى^٢ : اذكر لهم يا محمد يوم النفختين فإنه وقت بعثهم وحسابهم.

ثم يخبرنا الله تعالى ويصور لنا حال وشأن الكفرة المكذبين بالبعث المعرضين عن الله تعالى بأن قلوبهم في هذا الوقت وهذا الزمن الذي يبعثون فيه في شدة اضطراب وخوف ووجل من سوء فعالهم وتكذيبهم، وأبصارهم ذليلة منكسرة وكيف لا وهم تاهدون هذا الهول وهذا الرعب.

بعد هذا يخبرنا الله تعالى بما يقوله الكفرة المكذبون بقضية البعث حيث يقولون متعجبين مستبعبين ذلك - إذا أكد لهم أنهم سيبعثون - ﴿يَقُولُونَ أَأَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أى نرد أحياء بعد موتنا أو أنرد في قبورنا أحياء كما

== ينظر فتح الباري ج ١ ص ١١٦ ، ٥١٧ . "والعجب" بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة ويقال له "عجم" بالميم أيضاً وهو عظم لطيف فى أصل الصلب وهو رأس العصص" السابق ج ١ ص ١١٧ . وانظر اللسان ج ١ ص ٦٠ .

(١) الحديث الشريف فى صحيح البخارى كتاب التفسير/ تفسير سورة الزمر باب رقم (١) حديث رقم ٨١٤؛ وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ قالوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

الْمُرْسَلُونَ﴾ وهو أيضاً فيه فى كتاب التفسير/ تفسير سورة "عم يتساءلون" حديث رقم ٩٣٥؛ وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الفتن وأشرط الساعة/ باب ما بين النفختين عن سيدنا أبى هريرة أيضاً.

(٢) هذا على التوجه الآخر فى إعراب قوله تعالى: "يوم ترجف الراجفة" كما سبق.

حكى عنهم قوله الكريم ﴿أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾^(١) ثم يزيدون على الاستبعاد فيقولون ﴿أَيْنَا كُنَّا عِظَمًا نَخْرَةً﴾ بالية مفتة كما حكى بعضهم^(٢) ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ط قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ط وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ الآيات الكريمات .

ويعلمنا الله بعد ذلك مزيد استهزائهم بتلك القضية ليرينا كيف ران الكفر على قلوبهم وجثم على صدورهم فيقول حاكيا عنهم: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ . يقول الشيخ الألوسي رحمه الله تعالى "قالوا تلك" حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسط قالوا بينهما للإيذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الإطراد والاستمرار، مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة أوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الرد في الحافرة مشعرين بغاية بعده عن الوقوع ﴿تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أى ذات خسر أو خاسر أصحابها، أى إذا صحت تلك الرجعة فنحن «رون لتكذيبنا بها، وأبرزوا ما

(١) الإسراء ١٩ .

(٢) قيل هو العاص بن وائل وقيل أبى بن خلف. انظر تفسير ابن كثير ج ٥ ص ١٨١ .

(٣) من سورة "يس" الآيات من رقم ٧٨ - إلى آخر السورة الكريمة.

قطعوا بأنائه واستحالته في صورة ما يغلب على الظن وقوعه، لمزيد الاستهزاء^١.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هذا جواب من الله تعالى عن كلامهم بالإنكار وتعليل لمقدر أى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فإنها سهلة هينة في قدرته تعالى فإنما هي صيحة واحدة أى حاصلة بـ صيحة واحدة لا تكرر يسمعونها وهم في بطون الأرض وهي النفخة الثانية كنفخ واحد في صور الناس لإقامة القافلة عبر عن الكرة بالزجرة تنبيهها على كمال اتصالها بها كأنها عينها، يقال زجر البعير إذا صاح^٢.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أى إذا نفخت هذه النفخة عقب ذلك مـ شره يكونون على وجه الأرض الواسعة التي تتسع لكل الخلق يومئذ عاذنا الله تعالى من شر ذلك اليوم ولقانا نضرة وسروراً اللهم آمين يا كريم.

^١ روح المعاني ج ١ ص ٤٨ وانظر روح البيان ج ١ ص ١٨.

^٢ روح البيان ج ١ ص ٣١٨ وراجع روح المعاني ج ١ ص ٩.

مسألتان:

المسألة الأولى: في قسم الله تعالى بمخلوقاته:

يقول سيدنا الحسن رضى الله تعالى عنه: إن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله^(١) وقال الشعبي^(٢) وغيره "الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق".

وقد أقسم تعالى بمخلوقاته كما جاء في بعض السور كسورتنا هذه وسورة "الصفات" حيث قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَّحٌ﴾.

وسورة النجم حيث قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ

وَمَا غَوَىٰ﴾ وسورة المرسلات حيث قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا

(١) الاثقان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٤ .

(٢) الشعبي هو: سيدنا أبو عمرو بن شراحيل الشعبي كان رحمه الله تعالى عالماً ورعاً فريد دهره ولى القضاء من قبل سيدنا عبد الملك بن مروان توفى رحمه الله في سنة أربع ومائة عن اثنين وثمانين سنة. انظر آثار البلاد و أخبار العباد للإمام/ زكريا بن محمد القزويني ص ١٨ : ٩ ، ط دار صادر، والإعلام للعلامة خير الدين الزركلى ج ٣ ص ٥١ . ط دار العلم للملايين.

(٣) تفسير ابن كثير عند تفسيره لسورة النجم ج ١ ص ٤٦ .

(٤) الصفات الآيات البينات مز ١ - .

(٥) النجم الأيتان الكريمتان .

فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا وَالنَّشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا
عُذْرًا أَوْ نُذْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ^(١).

وسورة الليل: حيث قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا
خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ^(٢)﴾.

وسورة التين والزيتون: حيث قال تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ
سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
﴿١﴾.

وأقسم في سورة الحجر الكريمة بحياة أكرم الخلق سيدنا محمد (ﷺ) حيث قال
تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ^(٣)﴾.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: أقسم بحياة نبيه صلوات الله وسلامه
عليه وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض.

^(١) المرسلات الآيات الكريمات من

^(٢) سورة الليل الآيات الكريمات من

^(٣) التين من

^(٤) الحجر الآية ٢.

قال عمرو بن مالك النكري^(١) عن أبي الجوزاء^(٢) عن ابن عباس - رضى الله عن الجميع - أنه قال: ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد (ﷺ) وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٣) يقول: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا (إنهم لفى سكرتهم يعمهون).

والناظر في قسم الله تعالى بمخلوقاته يلاحظ عدة أمور:

- أنه تعالى يقسم ببعض مخلوقاته ليبين عظمتها وشرفها كقسمه تعالى بالملائكة الكرام وحياة النبي محمد (ﷺ).
- أنه تعالى يقسم بها ليبين ما فيها من فوائد عظيمة وعناصر طيبة كقسمه تعالى بالتين والزيتون.
- كما أنه تعالى يقسم بها ليلفت الأنظار إليها وإلى ما فيها من عبر ودلالات وآلاء يعتبر بها المعتبرون ويتفكر فيها المتفكرون.

^(١) هو سيدنا عمرو بن مالك النكري أبو يحيى ويقال: أبو مالك البصري روى عن أبيه وأبي الجوزاء، ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة تسع وعشرين ومائة. انظر تهذيب التهذيب ج ٨٥ للإمام ابن حجر رحمه الله تعالى.

^(٢) هو سيدنا أوس بن عبد الله الربعي البصري أبو الجوزاء من كبار العلماء العباد حدث رحمه الله عن السيدة الفاضلة أم المؤمنين رضى الله عنها وعن حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس وغيرهما. انظر تاريخ الإسلام ج ٣١٦ للحافظ الذهبي.

^(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٥٥.

- كما أن في قسمه تعالى بهذه المخلوقات بياناً لعظمته تعالى وانفراده جلّت قدرته بهذه العظمة وهذا الجلال حيث إن له وحده الحلف بهذه المخلوقات. أما نحن ؛ يس لنا ذلك يقول حبيب الرحمن صلوات الله وسلامه عليه (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)^١.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: "المحلف به هو الله سبحانه وتعالى وأسماءه الحسنی كالرحمن والرحيم والسميع والعليم والحليم، ونحو ذلك من أسمائه وصفاته العليا، عزته وقدرته وعلمه وإرادته وكبريائه وعظمته وعهده وميثاقه وسائر صفات ذاته، لأنه يمين بقديم غير مخلوق فك ن الحالف بها كالحالف بالذات^٢ .

ويقول الإمام النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم: "قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف يقتضي تعظيم المحلف به وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى ؛ يضاهي به غير ... فإن قيل: الحديث مخالف

^١ جزء حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/ كتاب الإيمان والنذور/ باب/ لا تحلفوا بأبائكم، رقم الحديث ٦٦٤٦ ونصه كاملاً عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عن الجميع وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال (ﷺ): (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) فتح الباري ج ٢ ص ٧٧، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه/ كتاب/ الإيمان/ باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى. ج ١ ص ١٠٥ : ١٠٦ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ٤١٧ هـ ٩٩٦ م.

^٢ تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٥٥ عند تفسيره لقوله تعالى من سورة المائدة ٨٩ لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانك ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان وانظر فتح الباري ج ٢ ص ٧٩ .

لقوله (ﷺ) (أفلح وأبيه إن صدق)^(١) فجوابه أن هذه كلمة تجرى على اللسان لا تقصد بها اليمين^(٢).

ويقول فى موضع آخر من نفس الشرح "قوله (ﷺ) أفلح وأبيه، ليس هذا حلفاً إنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها فى كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف، والنهى إنما ورد فىمن قصد حقيقة الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به الله سبحانه وتعالى فهذا هو الجواب المرضي، وقيل يحتمل أن يكون هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله تعالى والله أعلم^(٣).

المسألة الثانية: فى البعث والرد على منكريه

البعث فى اللغة: بمعنى الإرسال قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(٤).

والبعث أيضاً: إثارة باريك أو قاعد تقول: بعثت البعير فانبعث أى أثرتة فثار والبعث كذلك: الأحياء من الله للموتى ومن أم مائه تعالى البا — ث، وهو الذى

^(١) هذا جزء من حديث الأعرابي من أهل نجد الذى جاء يسأل رسول الله عن الإسلام فأخبره الرسول (ﷺ) بخمس صلوات فى اليوم والليلة. فقال: هل على غيرهن، قال رسول الله (ﷺ) لا إلا أن تطوع وصيام شهر رمضان فقال: هل على غيره فقال لا إلا أن تطوع وذكر له رسول الله (ﷺ) الزكاة ... الحديث صحيح الإمام مسلم/ كتاب الأمان/ باب/ بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام. ج ٦٥ . ٦٦ .

^(٢) مسلم شرح النووى ج ١ ص ١٠٥ وانظر فتح البارى ج ٢ ص ٧٩ ، ص ٨٢ .

^(٣) انظر شرح الإمام النووى الصحيح الإمام مسلم ج ١٦٧ عند شرحه لحديث كتاب الأيمان/ باب/ بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام .

^(٤) يونس ٥٠ .

يبعث الخلق أى يحييهم بعد الموت يوم القيامة^(١).

وفى الاصطلاح: عبارة عن إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية والحشر: عبارة عن سوقهم جميعا إلى الموقف وهو الموضع الذى يقفون فيه لفصل القضاء بينهم^(٢).

ولبعث حق لا ريب فيه ثابت بالكتاب والسنة لم ينكره إلا الكفرة الفجرة أصحاب الشهوات والنزوات الذين يرون أنهم جاءوا فى الدنيا هكذا يفعلون فيها ما يشاءون ويرتكبون ما تميل إليهم نفوسهم الخبيثة من أعمال باطلة وأفعال شاذة ثم تنتهى الحياة ولا وجود لهم بعدها هكذا تصورا بل أقسموا على ذلك قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾^(٣). "يقول الإمام الرازى رحمه الله تعالى: "هذا" حكاية عن الذين أشركوا وقوله تعالى: "بلى" إثبات لما بعد النفى، أى بلى يبعثهم وقوله تعالى وَعْدًا ﴿عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد أى وعد بالبعث وعدا حقا لاخلف فيه لأن قوله يبعثهم ل على قوله وعد بالبعث

(١) اللسان ج ٢٢٣ وانظر المختار ص ٥٧.

(٢) حاشية البجورى على الجوهرة ص ٢٠٣ وانظر غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول ج ٦٣.

(٣) النحل الأيتان الكريمتان: ٨، ٩.

وقوله تعالى ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ ﴾ فيه من أمور البعث أى بلى بيعتهم ليبين لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما أقسموا فيه .

وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ أى لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها ﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أى بعثكم ومجازاتكم وهذه هى الآية الثالثة التى أمر الله رسوله (ﷺ) أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده **فالأولى** فى سورة يونس ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ بِأَقْحَقِّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ^(١) **والثانية** فى سورة سبأ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ^(٢) .

(١) تفسير الإمام الرازى ج ٥ ص ٥٢٥ وانظر القرطبي ج ١ ص ١١ .

(٢) التغابن ١٠ .

(٣) يونس ١٣ .

(٤) سبأ ٢٠ .

والثالثة هي هذه ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ

(...)﴾ . هذا وإذا ما تصفحنا القرآن العظيم وقرأنا آياته بتدبر وفهم نجد أنه يدلل على ما حواه من قضايا يدلل عليها بطريقة سهلة ميسورة لا لبس فيها ولا غموض طريقة مرضية تماماً للعقل مريحة كل لراحة للنفوس مثبتة كل الثبوت لما يريد القرآن الكريم إثباته وإيضاحه، فمثلاً أمام قضية التوحيد وأنه تعالى واحد أحد فرد صمد لا شريك له في ملكه نجد هذه الطريقة وهذا المنهج الفريد واضحاً كل الوضوح نقرأ مثلاً على سبيل المثال قوله تعالى في سورة "النمل" ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ ءَلِلَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ ءَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ ءَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَنْ تُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ ءَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ ءَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا

يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدُوْا أَلْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قُلٌّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾

هكذا نجد القرآن العظيم يأخذ النفس والعقل والكيان الإنسانى كله بهذه
الطريقة الواضحة البينة المريحة التى لا غموض فيها ولا صعوبة إنه كلام الله
الحكيم الخبير.

أيضاً أمام قضية البعث وهى قضية سمعية من قضايا العقيدة نجد نفس
الطريقة وذات المنهج الربانى نقرأ على « بيل المثال قوله تعالى فى سورة الحج
الكريمة ﴿يَأْتِيْهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن
تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ
لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ
لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ
الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا
أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ
اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١٠﴾

(١) النمل الآيات الكريمات من ٩ - ١٤ .

(٢) الحج الآيات البينات من ١٠ .

إنها لآيات بينات واضحات كل الوضوح، فهذه القدرة العظيمة التي خلقت هذا الخلق البديع من العدم وأنزلت الماء من السماء على الأرض الميتة فكانت كما وصف القرآن الحكيم هذه القدرة لا يصعب عليها أمر البعث وإعادة بنى الإنسان إلى حبة أخرى كما وعد الله تعالى وأخبر بذلك.

ونقرأ في سورة الروم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ . وكما في ل ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ .

يقول صاحب المنار "وهذه الجملة من أبلغ الكلام الموجز المعجز فإنها دعوى متضمنة للدليل بتشبيه الإعادة بالبدا فهو يقول: كما بدأكم ربكم خلقاً وتكويناً بقدرته تعودون إليه يوم القيامة .

وهكذا نجد آيات القرآن الكريم تأخذ لإنسان بهذا المسلك العظيم القريب إلى النفس والعقل والقلب تأخذه إلى الإيقان بالمعاد والبعث الذي ينكره من ذهب عن عقولهم الأنوار وإنهم الظلمات والضلالات وهم الذين حكى الله عنهم قولهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ﴾ .

(١) الروم ٧٧ .

(٢) الأعراف ٩٠ .

(٣) تفسير المنار للإمام الشيخ محمد رشيد رضا ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٤) الجاثية ٤٤ .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله (يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركى العرب فى إنكار المعاد ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أى ما تَمَّ إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آرون وما ثم معاد ولا قيامة^(١) .

وفى الجالين "أى يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا^(٢) .

وحكى^(٣) - رآن أيضاً قو - م ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ

بِمُنشَرِينَ﴾^(٤) أى ما هى إلا موتتنا الأولى التى نموتها فى الدنيا ولا حياة بعدها ولا بعث وليس فى الكلام قصد إلى إثبات موة أخرى، بل المراد ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية^(٥) .

هذا وقضية البعث والحشر للأموات كما هى ثابتة بالقرآن العظيم ثابتة أيضاً بالسنة المشرفة على صاحبها أفضل صلاة وأكرم سلام، فعن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى (ﷺ) قال: "إذا مات أحدكم عُرِضَ عَلَى مَقْعَدِهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشَى إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ ، تَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٦) .

(١) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٥٠ .

(٢) الجالين ج ١٩ ص ١٩ .

(٣) الدخان ٥٠ .

(٤) فتح القدير: ج ٥ ص ٥٠ .

(٥) صحيح البخارى: كتاب الجنائز حديث رقم ٣٧٩ ، وخرجه الإمام ابن ماجة فى سننه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى ج ٢٧ ص ٤٢٧ ، قال الألبانى صحيح ط دار الفكر - بيروت.

وعن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: "قام بنا النبي (ﷺ) يخطب فقال: إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (١) وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل (ع) وإنه سيُجاءُ برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول رب أصحابي؟

فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (٢) إلى قول (الحكيم) قال فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم .

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) "يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون، لو استشفعنا على ربنا (٣) ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم

(١) الأنبياء ٥٤ .

(٢) قال الإمام ابن حار رحمه الله تعالى: (ولا يلزم من خصوصيته عليه الصلاة والسلام بذلك تفضيله على نبينا محمد (ﷺ) لأن المفضل قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة. فتح الباري ج ٨ ص ٨ .

(٣) المائدة ١٧ .

(٤) صحيح البخار: - كتاب الرقاق - باب الحشر حديث رقم ٦٥٢٦ فتح الا رى ج ١٣ ص ٨٧ ، كما خرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ النساء ٢٥ ، وقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ النحل ٢٠ ، فتح البارى ج ٤ ص ٤٤ .

(٥) يقول الإمام ابن حجر قوله (على ربنا) فى رواية هشام وسعيد (إلى ربنا) وتوجه بأنه ضمن معنى استشفعنا سعى لأن الاستشفاع طلب الشفاعة وهى انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه) فتح البارى ج ٢ ص ٥٦ .

فيقولون: أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك الحديث .^(١)

وفى صحيح الإمام مسلم عن سيدنا سهل بن سعد قال: قال رسول الله (ﷺ) (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء ذارية لا فيها علم لأحد).^(٢)

وهناك من الأحاديث الكثير والكثير على ذلك فكل ما يتعلق بالآخرة مثبت للبعث والحشر.

وعلى ذلك فمن أنكر البعث والحشر فهو كافر جاحد لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة.

يقول الإمام جمال الدين الأفغانى^(٣) عنهم "هؤلاء جحدة الألوهية فى أى أمة" ثم يقول ذهبوا إلى أنه لا حياة للإنسان بعد هذه الحياة وأنه لا يختلف عن

(١) صحيح البخارى - كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار حديث رقم ١٥٦٥ - فتح البارى ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي - كتاب البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ج ١ ص ١٣٤ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميريا ٤١٧ هـ ٩٩٦ م، يقول الإمام النووي رحمه الله: العفراء بالعين المهملة والمد بيضاء إلى حمرة والنقى بفتح النون وكسر القاف وتشديد لياء هو الدقيق الحورى وهو الدرمة وهو الأرض الجيدة. قال القاضى كأن النار غيرت بياض وجه الأرض إلى حمرة. وقوله (ﷻ): (ليس فيها علم لأحد) بفتح العين واللام أى ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر. السابق ج ١ ص ٣٤ .

(٣) هو السيد جمال الدين بن السيد صفتى ولد رحمه الله تعالى فى سنة ٢٥٤ هـ ٨٣٩ م أجلسه والده للتعليم منذ صغره فتلقى علوما جمّة برع فى جميعها منها فى العلوم العربية النحو والصرف ومعان وبيان وتاريخ وفى العلوم الشرعية التفسير والحديث والفقه وأصوله وعلم الكلام والتصوف وفى العلوم العقلية المنطق وغيره وفى العلوم الرياضية الحساب والهندسة والجبر وهيئة الأفلاك ونظريات فى الطب والتشريح. تنقل رحمه الله

النباتات الأرضية تنبت في الربيع مثلاً وتيبس في الصيف ثم تعود تراباً. والسعيد من يستوفي في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الرأي الفاسد أطلقوا النفوس من قيد التائب، ودفعوا إلى أنواع العدوان، من قتل وسلب وهتك عرض، ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة، والوقوع في كل رذيلة، وأعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشري، وأعدموها الرغبة في كشف الحقائق وتعرف أسرار الطبيعة^١.

تعالى في بعض البلاد الإسلامية ومنها مصر. انظر جمال الدين الأفغاني للإمام محمد عبده، كتاب الهلال من ص ٦ - ١.

^(١) ينظر رسالة الرد على الدهريين للعلامة الفاضل المرحوم/ جمال الدين الأفغاني ص ٤٧ ، ١٤٨ كتاب الهلال.

الحكمة من البعث

البعث قضية ثابتة لا بد من تدققها حتى يتحقق وعد الله تعالى بمجازاه المطيع على طاعته والفاسق والكافر على فسقه وكفره وإلا فلا يستوى من انتهى عند حدود الله تعالى وأقام شرائعه ومن أطلق لنفسه العنان في الشهوات والنزوات والمعاصي وعاث في الأرض فساداً إن طبيعة الهل الإلهي لاتسوى بين هذا وذاك بين المحسن والمفسد بين الصالح والطالح قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ .
وقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلَفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ .

(١) يونس . . .

(٢) المؤمنون الآيات البينات من ٠١ - ٠٤ .

(٣) المؤمنون الآيتان الكريمتان ١٥ - ١٦ .

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى المعنى "أفحسبتم أأخلقناكم للإهمال كما خلقت البهائم ولا ثواب ولا عقاب وأنكم إلينا لا ترجعون بالبعث والنشور فنجازيكم بأعمالكم".^١

فاللهم نجنا في هذا اليوم الشديد واجعلنا من جملة المؤمنين المخلصين الذين يقولون ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.^٢

^(١) فتح القدير ج ٥ ص ١٥٧ .

^(٢) آل عمران ١ .

طرف من قصة الكليم عليه السلام مع فرعون تسلية للرسول (ﷺ) وتهديد للمشركين الطغاة

يقول الله تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّوَادِ الْمَقْدَسِ طُوى ۖ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ أَن تَرَكَّى ۚ ۝١٨ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۚ ۝١٩ فَارْهُ الْكُبرى ۚ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۚ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ سَعَىٰ ۚ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۚ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۚ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۚ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن تَخْشَىٰ ۚ ۝٢٦﴾

المناسبة

لما ذكر الله تعالى ما ذكر من نبأ الكافرين الطغاة المكذبين بالبعث ذكر تعالى هنا طرفاً من قصة سيدنا موسى (ﷺ) مع فرعون تسلية لرسوله محمد (ﷺ) حيث إن فرعون قد طغى قبلهم وكان أشد قوة وأكثر جمعاً ومع ذلك أخذه الله نكال الآخرة والأولى وسيكون مصير المكابرين مثله فلا . إن يامحمد من هؤلاء المكذبين قلن يعجزوا الله تعالى.

المباحث العربية

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ أتا فعل ماض مبنى على الفتح المقدر على الألف للتعذر والكاف ضمير متصل - ضمير المخاطب - مبنى على الفتح فى محل نصب مفعول به مقدم و(حديث) فاعل مؤخر مرفوع بالضممة

موسى مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الفتحة المقدرة على الألف للتعذر بدلاً من الكسرة لأنه ممنوع من الصرف^١.

و(أتاك) معناه بلغك: استعير الاتيان لحصول العلم تشبيها للمعقول بالمحسوس كأن الحصول مجئ إنسان على وجه التصريحية.

و(الحدث) هو الخبر وأصله فعيل بمعنى فاعل من حدث الأمر إذا طرأ وكان ... وإنما يطلق على الخبر بتقدير مضاف لا يذكر لكثرة الاستعمال تقديره خبر الحديث أى خبر الحادث^٢.

يقول الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى "ومعنى (هل أتاك) إن اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام فى استماع حديثه، كأنه قيل: هل أتاك حديثه أنا أخبرك به، وإن اعتبر اتيانه قبل هذا، وهو المتبادر من الإيجاز فى الاختصاص، حملة عليه الصلاة والسلام على أن يقرّ بأمر يعرفه قبل ذلك كأنه قال أليس قد أتاك حديثه^٣ .

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾

إذ) ظرف لما مضى من الزمن متعلق بحديث موسى لا بأتاك لاختلاف وقتيهما وجملة (ناداه) فى محل جر بإضافة الظرف إليها فهى جملة مكونة من فعل ماض ومفعول به مقدم هو الهاء ضمير الغائب و(رأى) فاعل مرفوع

^١ انظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ج ٢ ص ٣٢٩ وإعراب القرآن الكريم وبيانه ج ١ ص ١٠٩ ، أ/ محى الدين الدرويش.

^٢ ينظر التحرير والتنوير ج ٥ ص ١٤ .

^٣ أبو السعود ج ١ ص ٩٩ ط دار المصنف الشريف وانظر تفسير القاسمى ج ١٧ ص ٤٨ ، والرازى ج ١ ص ١٩٠ وفتح القدير ج ١ ص ٩١؛ وروح البيان ج ١٠ ص ١٩ .

بالضمة و(بالواد) جار ومجرور متعلق بـ(ناداه) وحذفت الياء خطأ واختصاراً واكتفاء بالكسرة الدالة عليها و(الواد) المكان المنخفض بين الجبال. (المقدس) أى المطهر والمراد به التطهير المعنوى وهو التشريف والتبريك لأجل ما نزل فيه من كلام الله تعالى دون توسط ملك يبلغ الكلام إلى سيدنا موسى (ﷺ) وذلك تقديس خاص. والكلمة الكريمة صفة للوادي مجرورة بالكسرة، و(طوى) بدل من (الوادي) وهو وادٍ فى جانب جبل الطور فى بركة سيناء فى جانبها الغربى. وقد قرأ جمهور القراء (طوى) بلا تنوين على أنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث بتأويل الإِعة، أو للعدل عن "طاوٍ" أو للعجمة وقرأه ابن عامر وحزمة والكسائي وخلف منوناً باعتباره اسم وادٍ مذكر اللفظ .

وجمله (اذهب إلى فرعون) بيان لجمله (ناداه ربه) وجمله (إنه طغى) تعليل للأمر فى قوله تعالى: (اذهب) و(الطغيان) هو تجاوز الحد فى العصيان .

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾

الفاء عاطفة على ما قبلها و(قل) فعل أمر مبنى على السكون وفاعله مستتر تقديره أنت، وهل حرف استفهام معناه: العرض، أمر (ﷺ) بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستتزله بالمدراة من

(١) القراءتان متواترتان كما فى كتاب/ البذور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ص ٤٠٣ للشيخ/ عبد الفتاح القاضى. وانظر معجم القراءات ج ١ ص ٨٥ ، لعبد اللطيف الخطيب ط دار سعد الدين.

(٢) ينظر إعراب القرآن وبيانه ج ١ ص ١٠٩ ، ٢١٠ والإعراب المفصل ج ٢ ص ٢٩ ، ٣٣٠ والبحر المحيط ج ١ ص ٣٩٨ وأبى السعود ج ١ ص ٩٩ والقرطبي ج ١ ص ٩٢ ، ١٩٣ والتحرير والتنوير ج ٥ ص ٧٥ والمفردات للراغب ص ٣١٤ والمحرر الوجيز ج ١ ص ٢٣ .